الأستاذة: لمياء عيطو

مقياس: النص الأدبي الحديث

المحاضرة موجهة لطلبة السنة الثانية دراسات أدبية (الفوج 03/02/01)

المحاضرة السابعة: التجديد الشعري المهجري

لم يكن التجديد الشعري مقصورا على البلاد العربية بقطريها المشرقي والمغربي، وإنما امتد إلى البلاد الغربية مع مدرسة المهجر التي تكونت من قبل الشعراء الذين ارتحلوا إلى هناك وأسسوا تكتلات أدبية تمثلت في كل المدرسة المهجرية الشمالية وأطلقت عليها تسمية الرابطة القلمية، و المدرسة المهجرية الجنوبية التي سميت العصبة الأندلسية، غير أن «مدرسة المهجر الشمالي على قلة عددها كانت أبعد أثرا من فئة الجنوب، وعلى الرغم من أن الذين ظهروا في الميدان الأدبي بقوة من مهجري الجنوب، وذاعت آدابهم في العالم العربي كانوا فئة قليلة، فإن مهاجري الشمال والذين منهم أيضا كانوا فئة قليلة كذلك كانوا أبرز أثرا، وأوسع آفاقا وأعمق إحساسا بإنسانية الأدب والشعر، وصلتهما بالحياة الإنسانية وبالإنسان، لقد كانوا في أدبهم متحررين من كل تأثير قديم في الفهم وفي الإنتاج ».

ارتكزت أفكار أدباء المهجر على مرتكزين أحدهما شرقي تمثل في حركة التجديد التي تزعمها مطران في الشعر العربي منذ مطلع القرن العشرين، والآخر غربي تمثل في حركة التجديد الأدبي الأمريكي المتجاوبة مع خير ما في أوروبا من الأدب يقول صابر عبد الدائم: « إن الجذور الأساسية لأدب المهجر تضرب بأصالة في أعماق الأرض التي احتضنت البذور الفطرية الأولى لهذا الأدب، والتي أتت أكلها بعد ذلك طيبا حينما وطئت أقدامهم أرض العالم الجديد، حيث تعددت الروافد التي غذّت أدب هؤلاء المهاجرين في مهاجرهم، والأرض هي سوريا ولبنان، وكانتا خاضعتين في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين للحكم العثماني ».

الرابطة القلمية:

نشأت فكرة الرابطة القلمية في 20 أفريل 1920، ولم يمض أكثر من أسبوع حتى ظهرت الرابطة برئاسة جبران خليل جبران، ويساعده مخائيل نعيمة مستشارا، ومعهم كل من إيليا أبي ماضي، ونسيب عريضة، وعبد المسيح حداد، ورشيد أيوب، وندرة حداد، ووديع باحوط، وإلياس عطا الله، وقد ظلت الرابطة حيّة إحدى عشرة سنة أي إلى غاية سنة 1931، وتوقفت بسبب موت بعض أعضائها الفاعلين بداية بجبران الذي مات مسلولا، وقد كان أكثر الناشطين هم: جبران، ومخائيل نعيمة، و إيليا أبو ماضي، ونسيب عريضة، وهؤلاء هم أعمدة الرابطة الذين كان لهم إنتاج وفير، وليس هذا فقط، بل كان إبداعهم متميزا عن غيرهم كما يقول الناعوري: « فهؤلاء كان يتميّز إنتاجهم بالخلق والإبداع من

جهة، وبروعة التجديد من جهة أخرى، وسرعان ما انتشر أدبهم في الدنيا العربية كلّها، لما يحمله من بذور الحياة الجديدة».

العصبة الأندلسية:

ولدت العصبة الأندلسية في جانفي 1932، وكانت وتتألف من : ميشال معلوف، وكان أوّل رئيس لها، وداود شكور نائبا، ونظير زيتون، ويوسف البعيني، وحبيب مسعود وغيرهم، وقد تسلم رئاسة العصبة بعد رئيسها الأوّل، الشّاعر القروي، ومن بعده شفيق معلوف، وهو آخر رئيس لها، وكان يبذل في سبيلها وفي سبيل مجلّتها(العصبة)من ماله ونشاطه حتى توقفت نهائيا سنة 1831 ، بسبب موت عدد من أعضائها وهجرها من آخرين لأسباب خاصة.

مظاهر التجديد الشعري عند شعراء المهجر:

ظهرت في الأدب المهجري نزعات جديدة تميّز أدبهم و تعبّر عن واقعهم. فقد حمل الأدباء المهاجرون من بلادهم تراثا عريقا من حضارتهم العربية واحتكوا بحضارة الغرب الحديثة وتنازعتهم عوامل متعدّدة من حبّ لأوطانهم وأمل في تقدّمها وسخط على واقعها السيئ الفاسد. وبين هذا اليأس والأمل والحبّ والبغض صراع عنيف اعتمل في نفوسهم وانعكس على أدبهم و هم الذين قرأوا آراء الفلاسفة فتأثّروا بها.

ويمكن أن نميّز في نزعتهم الأدبية المظاهر الآتية:

أ – من حيث المضمون:

1– النزعة الإنسانية: في الإحساس بالآخر ومشاركته آلامه وأحلامه، مع التوق لتحرير الواقع الإنساني من سيطرة الماضي، والنظر إلى الفرد بانتمائه البشري لا العرقي أو القومي، حينها تسمو الأخوة وفقا لمبادئ هؤلاء لتشمل الكل تحت مظلة واحدة، وأحيانا يكون لتلك الصورة مدلول مثالي دال على القيم الراقية التي يكنها الإنسان لأخيه الإنسان بمنأى عما يعكر صفوها من ظلم وتنافر وعداوة، ومن ذلك ما قاله ميخائيل نعيمة في قصيدته أخي:

أخي من نحن؟ لا وطن ولا أهل ولا جار

إذا نمنا، إذا قمنا، ردانا الخزي والعار

لقد خمت بنا الدنيا كما خمت بموتانا

فهات الرفش وابتغي لنحفر خندقا آخر

2– النزعة الروحية والرومانسية: التأمل في الحياة، ومحاولة إيجاد الحلول وفهم أسرار النفس البشرية ومن أشهر ما يمكن الوقوف عليه في شعر المهجريين قصيدة الطَّلاسم لإيليا أبي ماضي وهي من أشهر ما كتب في الحيرة والضَّياع في الشِّعر الحديث. يقول:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت

ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت

وسأبقى سائرا إن شئت هذا أم أبيت

كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟

لست أدري

3- الحنين إلى الوطن: لشعورهم بالغربة في وطنهم الجديد؛ فقد أضرم الاغتراب حنين المهجريين ،فجعلوا يحنون إلى الشرق الذي مازال يرسف في قيود المذلة والهوان ويتمنون له الحرية الكاملة ليتسنى له أن يحتضن أبناءه من جديد وفي هذا الحنين أنتج لنا المهجريون شعرا رائعا عبقريّاً، وهذه قصيدة أمنية المهاجر لإيليا أبي ماضي والتي يقول في بعضها:

جعت والخبز وثير في وطاني والسنا حولي وروحي في ضباب

وشربت الماء عذبا سائغـــا وكأني لم أذق غيـــــر سرابي

محنة ليس لها مثـــل سواي محنة الزورق في طاغي العبـــاب

ليس بي داء ولكنـــي امرؤ لست في أرضي ولا بين صحابي

فهو يصرِّح بمحنة الغريب بلا حاجة إلى ترميز ولا تمويه ولا فلسفة كثيرة للأمور، وذلك دليل على صدق إحساسه بمحنة الغربة هذه، وأما العاطفة فمعلومة عاطفة الغريب الوحيد لأي أحد ومما يقوِّي وصفها ما ذكر من كون الغربة قد سلبت منه طعم الأشياء ولونها ونكهتها فاستوى الحلو والمرُّ واستوى الموجود والمعدوم حتى إنَّه ليشرب الماء فما يدري أماء شرب أم سرابا؟ وقد وصفها بعد ذلك بمحنة الزورق في طاغي العباب.

4- الاتجاه إلى الطبيعة: جددوا الطبيعة وجعلوها حية متحركة في صدورهم. وقد شكَّلت الطَّبيعة في شعرهم حضورا طاغياً لا تغفله عين بصيرة ولم يكتفوا بالوقوف على مجال الطَّبيعة الصامتة فقط كما كان تركيز الأقدمين؛ وانَّما كان للطَّبيعة بوجهيها الصامت والحي في أشعارهم الحضور الكثيف، فالطَّبيعة لديهم كانت مصدرا لاستجلاب الرموز حتى يسقطوا عليها الكثير من الحالات الإنسانيَّة والاجتماعيَّة وخلاف ذلك، هذا بجانب الانصهار والتَّمازج معها في تبادل للحالات الوجدانيَّة بينها وبين الشاعر.

يقول أبو ماضي:

فيا رياح الخريف العـاتيات كفى عصفا فقد كثرت في الأرض قتـلاك

كيف اعتذارك إن قال الإله غدا هل الفراشـــة كانت من ضحايـاك

يا نعمة تتلاشى كلمـــا بعدت إن غبت عن مسمعي ما غاب مغناك

ما أقدر الله أن يحييك ثـانية مع الربيـــع كما من قبـل سواك

وما أراد بذاك الفراش المحتضر إلَّا نفسه وقد تحسَّرت عنه موجات الحياة الموجة تلو الأخرى وأسلمته إلى الغربة والى رياحها الهوجاء التي لا ترحم لضعيف ضعفا.

5- التجديد في الموضوعات والأغراض الشعرية: فالشعر لديهم تعبير عن موقف الإنسان في الحياة، غرضه تهذيب النفس ونشر الخير والجمال، والسمو إلى المثل العليا.

ب – من حيث الشكل:

1- استخدام الألفاظ الموحية.

2- التساهل في الاستخدام اللغوي.

3- الوحدة العضوية.

4- التحرر من قيود الوزن والقافية.

5- الاهتمام بموسيقى اللفظ؛ مما أدى إلى ظهور الشعر المنثور.

6- استخدام الرمز.

7- النزعة القصصية.